هوامش

كثير من المهن القديمة قد اندثرت، وأصبحت من الماضي، بينما ما يزال بعضها، وإن شهد تراجعاً، حيّاً. من أبرز هذه المهن، سنّ (شحذ) السكاكين، إذ ينشط أصحابها في أيام عيد الأضحى

ورش السنّ تقوم بإجراء أي إصلاح بآلات الذبح وليس بإحمائها فقط (الأناضول)

سنّ السكاكين
مهنة قديمة بنشاط موسمي

القاهرة ـ **العربي الجديد**

قبل ساعات من قدوم كل عيد أضحى في مصر، تتجه أنظار القصابين، وعدد من الأهالي، نحو ورش سَنِّ (شحذ) السكاكين والسواطير الموجودة في الأحياء الشعبية لتجديدها؛ وذلك لارتباطها الوثيق بذبح الأضاحي يوم العيد. تتراوح تكاليف حد الشفرات ما بين خمسة وعشرة جنيهات حسب الحجم، وهي مهنة قديمة تكاد أن تنقرض رغم أهميتها، إلا أن البعض لا يزال يمارسها داخل محلاتهم، فيما سجلت محال بيع السكاكين وأدوات ذبح الأضاحي، إقبالاً إلى حدٍ ما من البعض لاقتنائها.

وينتشر عدد من «السنّانين» بالأحياء الشعبية المصرية خلال تلك الساعات، للتجول حاملين معداتهم تحت البيوت والمنازل للإعلان عن سن السكاكين، كما تستقبل الورش الراغبين بسن السواطير والسكاكين غير الحادة، لإعادة الحياة إليها مرة أخرى، لاستخدامها في ذبح الأضاحي يوم العيد، وتعد تلك المهنة من الحرف اليدوية المهددة بالانقراض في محافظات مصر، لقلة أعداد الحرفيين العاملين بها، ومن يملكون الصنعة، وعزوف البعض عن العمل بها، لضعف مقابلها المادي، بجانب قيام ربات البيوت المصريات بتغيير السكاكين التالفة بأخرى جديدة.

عامر مسعود، 55 عاما، أحد المتمسكين، بتلك المهنة، في الزاوية الحمراء، أحد الأحياء الشعبية بمنطقة «شرق القاهرة»، يحكي لـ «العربي الجديد»، مؤكداً أنه ورث المهنة أباً عن جد، مشيراً إلى أن ابنه الكبير رفض تعلمها بسبب عائدها المادي الضعيف، مضيفاً أنه يفتح ورشته التي يمتلكها بالعقار الذي يملكه وقت الطلب فقط، أما في مواسم الأعياد، فيتم فتحها قبل كل عيد بأسبوعين، موضحاً أن سوق سن آلات الجزارة، أصابه الكساد هذا العام، بسبب ضعف الحالة الاقتصادية التي أجبرت بعض المواطنين على التخلي عن سنة الأضحية، والبعض الآخر أقبل على المشاركة في أضحية جماعية.

ويقول آخر يدعى علي محمود (50 عاماً)، إنه يعمل بمهنة سن السكاكين والسواطير منذ 25 عاماً، حيث تنشط تلك المهنة مع بداية شهر «ذي الحجة»، حتى آخر أيام عيد الأضحى، ويساعد «سن السكين» على تقطيع اللحوم بطريقة سهلة، مشيراً إلى أن أكثر المقبلين على السن هم الجزارون لأنهم يحتاجونها دائمًا، مبدياً سعادته لأنه يفتح محله يومياً، ويستخدم في سن السكاكين، الحجر الدوار كبير الحجم، مبيناً أن البعض يعتقد أن هذه المهنة اندثرت، لكن محلات الجزارة تعرف أماكن ورش تلك المهنة التي تحتضنها الحارات بأحياء مصر الشعبية.

ويشرح عبد الرؤوف سامي، وهو «سنّان» في العقد الخامس من عمره، أن عيد الأضحى ينعش بصفة عامة الحرفة، وهي تحتاج بطبيعتها إلى تركيز شديد وثبات في اليد أثناء وضع السكين على قرص الحجر والقيام بإدارته، ووضع السكين عليه في الوقت الذي يدور القرص يحدث احتكاك بينهما «القرص والسكين»، ويتم بعدها غمس السكين في الماء حتى تبرد لأنها تكون ساخنة جداً، وأي خطأ أو سهو يمكن أن تطير فيها يد أو أصبع، فهي مهنة ليست سهلة كما يتصور البعض، كما أن العشوائية في سن السكين يجعلها هشة، لذلك لا بد من الحرص في سنها، وهو ما لا يجيده إلا المتخصص في المهنة، أما الأسعار فتختلف، فسن السكاكين العادية لا يتجاوز 5 جنيهات والساطور 10 جنيهات، والزبائن أغلبهم جزارون وأصحاب محال الدواجن، وعن الأدوات التي يستخدمها قال «سامي» إنه يعتمد على الحجر الخشن والناعم في سن جميع الآلات الحادة.

وذكر صابر محمد «جزار» أن سن السكاكين المستخدمة في عملية الذبح، أمر مهم جدًا من أجل عدم تعذيب الذبيحة، على أن تصل إلى درجة كبيرة من الحدة، وهذا غير متوفر إلا لدى أصحاب ورش سن السكاكين، موضحاً وجود إقبال على سن السكاكين من قبل الجزارين وربات البيوت بخلاف الأعوام الماضية، نتيجة زيادة أسعار السكاكين بنسبة كبيرة، وهو ما جعل البعض يلجأ إلى استخدام ما لديه من معدات سواء للذبح أو تقطيع اللحوم، لافتاً إلى أن ورش السنان تقوم بإجراء أي إصلاح بآلات الذبح وليس بشحذها فقط، مثل إصلاح أي اعوجاج، من خلال الطرق عليها حتى تستقيم جوانبها.

باختصار

تستقبل الورش الراغبين بسن السواطير والسكاكين غير الحادة، لإعادة الحياة إليها مرة أخرى، لاستخدامها في ذبح الأضاحي يوم العيد

■■■

عيد الأضحى ينعش بصفة عامة الحرفة التي تحتاج بطبيعتها إلى تركيز شديد وثبات في اليد أثناء وضع السكين على قرص الحجر والقيام بإدارته

■■■

سن السكاكين المستخدمة في عملية الذبح، أمر مهم جدًا من أجل عدم تعذيب الذبيحة، على أن تصل إلى درجة كبيرة من الحدة

وأخيراً

مهرجان الدم

سما حسن

ما الذي تغيَّر فينا؟ وما الذي تغيَّر علينا؟ تتساءل في نفسك وتسأل من حولك، وأنت ترى مهرجان الدم حولك، في يوم عيد الأضحى، وما تمَّ تداولُه، عبر مواقع التواصل الاجتماعي، لمشاهد ذبح الخراف والعجول والأبقار، وابتهاج الناس بمنظر الذبح، وتهليلهم والحيوانات تتخبّط في دمائها، وتصارع الموت. ولأن الشيء بضدِّه يُعرف؛ يمرّر ذلك كله شريطًا قصيرًا لذكرياتٍ غابرة، فذلك الرجل المُسنّ العائد من صلاة العيد، في المسجد، يحفر حفرة، على وجه السرعة، ويوجِّه رأس خروفه السمين صوب القبلة، ويردِّد بصوتٍ لا يكاد يُسمع، البسملة، ثم الشهادتين، ثم يستلُّ سكِّينه، وأنت لا تعرف أين كان يخفيها. ولكنه في وقت لاحق يحذِّرك بأن الحيوان يجب ألا يرى آلة الذبح؛ فهو يشعر ويتألَّم. وخلال لحظات قليلة من الصمت والتحفُّز، تسيل الدماء في الحفرة، ويردمها الرجل المسنّ بطرف حذائه الجلدي الضخم، بخفَّةٍ، ويتلفَّت حوله؛ ليتأكَّد أن أحدًا من الصِّغار لم يُصَب بالجزع، فيما يكون الصِّغار قد أخفَوْا وجوههم، وحاولت الأمُّ أن تشاغلهم؛ حتى لا يروا مشهد الذبح المؤلم، وتفلح في ذلك؛ لأن الصغار أنفسهم لا يرغبون في رؤية الخروف، في لحظاته الأخيرة من الحياة. وتغيّرت الحياة، وتقلَّب كلُّ شيء حولنا، وصغار الأمس لم يعودوا كذلك، فقد فتحوا أعينهم على مشاهد العنف، في كلِّ مكان، وفقدوا معاني الأمان والرأفة، وزُرعت القسوة في قلوبهم؛ فخرجوا قبل الكبار إلى مهرجانات ذبح الأضاحي، في الشوارع والأزقَّة، ولطَّخوا وجوههم، وأكفَّهُم، وملابسهم بالدماء، وفاحت منهم رائحتُها، ولم يتبقَّ سوى أن تسيل الدماء من أفواههم، وتبرز لهم أنياب، مثل مصَّاصي الدماء في أفلام الرُّعْب والخيال. وتسابق الصِّغار مع الكبار، في التنكيل بالذبائح، وابتكار طرق الذبح الأكثر دموية وبشاعة؛ حتى تعالت أصوات الإنكار من أصحاب العقول الرشيدة، ولكن المبتهجين بمهرجان الذبح العظيم تصدّروا المشهد، وبات الذبح متعة، وتلوَّث الجوُّ المحيط بالدماء؛ فخرًا للقبلية، وانتشاء للعشائرية.

تعاود الكَرَّة، وتتساءل: ما الذي تغيَّر؟ وما الذي أدّى إلى تحويل الصغار اللطفاء الأبرياء عاشقين مناظر الدم والتنكيل والتعذيب؟ وأنت تقلِّب إحدى صفحات مواقع التواصل الاجتماعي؛ فتصطبغ قرنيَّتا عينيك باللون الأحمر؛ لكثرة ما التصق بها من لون الدم، وتكتشف سببًا بسيطًا لهذه الجموع التي خرجت، وهي تشهر كلَّ ما تملك؛ من أدوات الذبح، وتتباهى بما هي مُقْدِمةٌ عليه، وهو أنَّ الهُويَّة الوطنية الجمعية قد تراجعت؛ ما أدّى إلى تغلُّب هوية العائلة وازدياده، بديلا طبيعيا عن الوطن، وسلطة القانون، فهم يجتمعون ويتباهون، ويحتمون ببعضهم؛ لفقدانهم معنى الأمان الحقيقي.

لقد خرجنا اليوم بمشاهد مؤذية، في واحدةٍ من شعائر الإسلام، ولكننا خرجنا عنها، وعن غايتها وأهدافها وأرسلنا إلى العالم صورة يسهل على المُغرضين توظيفها؛ أن العرب دمويُّون؛ حتى النخاع، ولا يجيدون التعامل مع الحيوانات التي سيلتهمون لحومها، فكيف سوف يتعاملون مع البشر، ويعقدون اتفاقيات السلام؟ تكتشف، وأنت تتابع مشاهد الذبح المختلفة، خلال أيام العيد، أننا قد وصلنا إلى القاع، وأنّ الخروج منه بات صعبًا؛ لأنه حصيلة سنواتٍ من التعصُّب واتِّباع العادات والتقاليد، وتحويلنا العبادة إلى عادة. ومع كلِّ التغيُّرات السياسية التي أحاطت بنا في السنوات الأخيرة، أصبح الوعي الثقافي المجتمعي منخفضًا؛ لأنه يرتبط، للأسف، بانحدار الوضع الاقتصادي لهذه الشعوب التي نخر الفقر في أوصالها مع تعاظُم سلطة رأس المال، على حساب المسحوقين الذين أصبح لهم يوم الذبح العظيم يومًا لتفجير الغضب المكبوت في داخلهم؛ فأشهروا أسلحتهم، وأطلقوا سراح الوحش فيهم تجاه حيوان ضعيف.

> وصلنا إلى القاع، والخروج منه بات صعباً، لأنه حصيلة سنوات من التعصُّب واتِّباع العادات والتقاليد

في كتابه «حيونة الانسان»، كتب ممدوح عدوان: «المقموعون تاريخيًا، حين يجدون متنفَّسًا، ويصلون إلى سلطة ما، فإنهم يريدون أن ينتقموا داخل أنفسهم، من كلِّ مشاعر الخوف، والتذلُّل التي عرفوها، لذلك يصبحون أشدَّ قسوة من مضطهديهم، ويمارسون شحنات من أحلام اليقظة المكبوتة، والانتقام من الذات». ولذلك، لا عجب أن نرى مشاهد سلخ قطّة، وشيِّها حيَّة، أو فقء عيني طائر جميل، يتلذَّذ بذلك مراهق أخرق، أو طفل صغير.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**